هو العليم

تجلّيات التوحيد في شهر ذي الحجّة وأسرار أربعين موسى عليه السلام

وصايا العرفاء وأعمال السالكين في الأيام المباركة من ذي الحجّة

بحث منتخب من محاضرات

سماحة العلاّمة آية الله السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

و

آية الله الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهراني

قدّس الله سرّهما

@MadrastAlwahy

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

و صلّى الله على محمّد و آله الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

أهمية شهر ذي الحجة وأجوائه التوحيدية

«شهر ذي الحجّة شهر مهم جدًا، ولا يقتصر الأمر على العشر الأوائل منه وحسب، بل إنّ الأيّام العشرين الأخرى مهمّة أيضًا. المناسبات التي في شهر ذي الحجّة هي مناسبات عظيمة الأهميّة»[1]

«هذه الأيّام أيّام مباركة، وهناك توجه وعناية خاصّة بها تميّزها عن سائر الأيّام».[2]

«أجواء هذا الشهر، وخصوصًا أيّامه العشرة الأولى، هي أجواء توحيدية عجيبة! أي إنّ الحالة السائدة في هذه الأيّام القليلة هي حالة توحيدية، وتزداد شدّة حتّى يبلغ ختامها وذروة شدّتها اليوم العاشر، وهو يوم عيد الأضحى»[3]

«العشر الأوائل من شهر ذي الحجّة الحرام هي من الأيّام المعدودة التي كان أهل المعرفة، بناءً على قول الأعاظم، ينتظرونها بفارغ الصبر من قبل»[4].

---

[1] موقع مكتب الوحي، **محاضرة عنوان البصري، ج ١٦٢** . آية الله السيّد **محمّد محسن الحسينيّ الطهراني**.

[2] المصدر السابق، **الدرس ٢٠٢**.

[3] المصدر السابق، **الدرس ٢١٣**.

[4] المصدر السابق، **الدرس ٢٠٢**.

العشر الأوائل من ذي الحجّة وعلاقتها بأربعين موسى عليه السلام

«الأحوال التي تطرأ على الأعاظم في عشر ذي الحجّة هذه هي أحوال عجيبة جدًا! ... فلنعرف قدر عشر ذي الحجّة هذه حقّ المعرفة، فإنّ الفتح الذي حصل لكثير من الأعاظم قد تمّ في هذه العشر».[1]

ولهذا السبب، يُلاحظ هذا الأمر أيضًا في أربعين موسى عليه السلام.[2] وقد أُشير إلى هذا الأمر في آية قرآنية، حيث يقول الله تعالى: {وَوٰعَدنَا مُوسَىٰ ثَلٰثِينَ لَيلَة}[3]؛ «لقد واعدنا موسى ثلاثين ليلة للمناجاة وليعيش حالة خاصّة في جبل الطور».

«تلك الأيّام التي ورد بشأنها في الروايات: أنّ موسى في ذلك الميعاد لم يأكل ولم يشرب ولم يغمض له جفنٌ طرفة عين».[4]

وهذه هي حالة الجذبة التي تحصل للسالك، وفي تلك الحال، ورغم انشغاله بالأمور الاعتيادية والمسائل الظاهرية، فإنّ الانجذاب الروحي والانجذاب النفسي لا يتركان له مجالاً للاهتمام بالجسد. وقد تطرأ هذه الحالة على كثير من السالكين؛ وطبعًا هي مؤقتة، وقد تحدث في يوم واحد أو في أسبوع أو في ساعة واحدة، ويحصل هذا الأمر لبعض الأفراد خلال الليل؛ وأحيانًا قد تشتدّ إلى درجة تسلب القوة وتغلب على النفس.

... هذا الأمر كان متعلّقًا بموسى عليه السلام، حيث أوجد الله له في تلك المدّة حالة جذبة بحيث لم تشعر النفس والجسد خلالها بالحاجة إلى النوم أو الجوع أو العطش! وليس هذا بمستبعد أبدًا ولا إشكال فيه. فعندما يتمكّن الإنسان من السيطرة على قوانين المادّة والتغلّب عليها بواسطة القوى الروحيّة، فإنّ هذا البدن يخضع لتسخير النفس ولا يطرأ عليه أيّ تغيير أو

---

[1] لمعرفة أهميّة وفضيلة العشر الأوائل من شهر ذي الحجّة، يُراجع: **الإقبال، ج ٢**، ص ٣٤ و ٣٥.

[2] **موقع مكتب الوحي، محاضرة، سلوك الأسرة ـ طهران**، الدرس ٥

[3] يُراجع: **تفسير القمي**، ج ١، ص ٤٧

[4] سورة الأعراف (٧) الآية ١٤٢

تحوّل يُذكر. هذا جانب من القضيّة. وطبعًا، توجد في بعض الحالات الأخرى ما يشبه هذه الحال ويؤثّر على البدن، ولكن لا علاقة له بهذا؛ فتلك أمور أخرى.

فكان موسى عليه السلام في هذه الحال على هذا النحو، كما ورد عندنا: «**مَا أَكَلَ وَلَا شَرِبَ وَلَا نَامَ**»؛ أي إنّه عليه السلام خلال هذه المدّة لم يأكل شيئًا ولم يشرب جرعة ماء ولم يأخذه النوم.

... وخلاصة القول، إنّ موسى عليه السلام في هذه الأربعين لم يأكل ولم يشرب ولم ينم؛ بل كان طوال المدّة في حالة جذبة دائمًا. من تلك الجذبات التي لو قسمها الله لنا وأعطانا شيئًا يسيرًا منها، لتركنا العالم كلّه بما فيه ومن فيه! نترك كلّ ما هو كائن وكلّ من هو كائن، كليهما جانبًا؛ والإنسان حينئذٍ لا يستطيع أبدًا أن يلتفت، وإذا أراد أن يوجّه ذهنه وفكره إلى مسائل أخرى، أصابه الغثيان!

... كان موسى عليه السلام في مثل هذا الوضع. ثم يقول الله تعالى: {وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ}[1].

لقد أضفنا إلى الوعد الذي قطعناه لموسى عشرة أيّام أخرى. فقد كان الوعد الأوّل ثلاثين يومًا؛ وإلّا لقال الله تعالى: {وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}! بينما يقول: لم نواعده أربعين يومًا! بل واعدناه شهرًا واحدًا، تنتهي فيه القضيّة في تلك الثلاثين يومًا، ويُفتح الباب لموسى عليه السلام، ويتجاوز العقبات والحُجُب، ويعبر عوالم المعنى، ويتحقّق له في هذا الشهر انكشاف الحقائق الربوبيّة وأسرار العالم الربوبي. ولكن لمّا تمّ الشهر، رأينا أنّ هناك مجالًا لعشرة أيّام أخرى لنضيف إليها بعض التحسين والتكميل! وكان لا بدّ لحقيقة التوحيد تلك أن تستمرّ أيضًا حتّى تبلغ الأربعين يومًا.

«... في هذه الآية القرآنيّة أيضًا، يبيّن الله هذا الأمر بشأن موسى عليه السلام: {وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ}[2]، رأينا أنّ الثلاثين يومًا قليلة بالنسبة له، وأنّه لا يزال هناك مجال لأن تتفتّح له المسائل التوحيديّة بالكامل وتنكشف، وأن يدرك الأمور في حدود

---

[1] سورة الأعراف (٧) الآية ١٤٢.

[2] سورة الأعراف (٧) الآية ١٤٢.

سعته الوجوديّة تلك؛ لذا أضفنا إليها عشرة أيّام. هذه الأيّام العشرة هي نفسها عشرة ذي الحجّة؛ أي إنّ هذه الأربعين تبدأ من أوّل شهر ذي القعدة، وهذه الأيّام العشرة هي أيّام خاصّة. ولعلّ القصد والغاية من هذا النحو من الكلام هو أن يذكّرنا اللَه بأهميّة هذه الأيّام العشرة، وأنّ لهذه الأيّام العشرة شأنًا يختلف عن تلك الثلاثين يومًا، وأمرها مختلف»[1].

«من الأفضل للسالك، وخصوصًا في هذه الأيّام العشرة، أن يوجّه ذهنه وفكره في المراقبة أكثر نحو التوحيد بدلًا من الكثرات والتعلّقات والأشياء الخارجيّة؛ حتّى يتمكّن من الاستفادة بشكل أكبر. وهذه العشر هي بنفسها أيّام اللَه[2] التي يقول اللَه فيها لموسى عليه السلام في سورة إبراهيم: {وَذَكِّرهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ}[3]؛ ونبّههم إلى أن يغتنموا عشرة ذي الحجّة هذه اغتنامًا كبيرًا، وأن يأخذوا نصيبهم من هذه المائدة التي بُسطت»[4].

أهميّة المراقبة ومراجعة الأعمال الماضية في شهر ذي القعدة وعشر ذي الحجّة

«أهمّ أمر يمكن أن يُلتفت إليه في هذه الأيّام ـ وخصوصًا أيّام أربعينية موسى عليه السلام المباركة التي اشتهرت ـ هو مسألة المراقبة، وأن ينتبه الإنسان إلى وضعه ومكانته. لا أنسى أنّ الوالد رضوان اللَه عليه ـ وخصوصًا في هذه الأيّام ـ كان يدعو أصدقاءه وتلامذته كثيرًا إلى مراجعة الأعمال والأفكار والنيّات الماضية التي أمضوا بها أعمارهم خلال هذه المدّة، أي عامًا

---

[1] موقع مكتب الوحي، **محاضرة، عنوان بصري، الدرس ٢٠٢**.

[2] **تفسير القمي، ج ١**، ص ٧١: «قَوْلُهُ: {وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ} (سورة البقرة (٢) الآية ٢٠٣) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَهِ عليه السلام: **أَيَّامُ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةُ، وَالْأَيَّامُ الْمَعْلُومَاتُ** (سورة الحج (٢٢) الآية ٢٨: **{...وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ...}**) **الْعَشَرَةُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ.**» تهذيب الأحكام، ج ٥، ص ٤٤٧: عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَهِ عليه السلام يَقُولُ: **قَالَ أَبِي: قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام:** {وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ} **قَالَ: قَالَ: عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، وَ** {أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ} (سورة الحج (٢٢) الآية ٢٨) **قَالَ: أَيَّامُ التَّشْرِيقِ.**

[3] سورة إبراهيم (١٤) الآية ٥

[4] موقع مكتب الوحي، **محاضرة، عنوان بصري**، الدرس ١٦٢

واحدًا، بتلك النيّات وتلك الأهداف وذلك التوجّه. وكان يوصي كثيرًا بأن يهتمّ الأصدقاء بهذا الأمر خلال أيّام شهر ذي القعدة، وخصوصًا في عشر ذي الحجّة، وأن يراجعوا أحوالهم»[1].

أعمال العشر الأوائل من ذي الحجّة

صلاة العشر الأوائل

رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْجُعْفِرِيِّ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يَا بُنَيَّ، لَا تَتْرُكَنَّ أَنْ تُصَلِّيَ كُلَّ لَيْلَةٍ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ مِنْ لَيَالِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ رَكْعَتَيْنِ، تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَ** {قُل هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ}[2] **مَرَّةً وَاحِدَةً وَهَذِهِ الْآيَةَ**: {وَوَٰعَدنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيلَة وَأَتمَمنَٰهَا بِعَشر فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَربَعِينَ لَيلَة وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخلُفنِي فِي قَومِي وَأَصلِح وَلَا تَتَّبِع سَبِيلَ ٱلمُفسِدِينَ} **فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَارَكْتَ الْحَاجَّ فِي ثَوَابِهِمْ وَإِنْ لَمْ تَحُجَّ**»[3]

الصوم

«من جملة الأمور التي ينبغي الالتفات إليها في هذه الأيّام العشرة قضيّة الصوم. صوم هذه الأيّام العشرة ـ طبعًا باستثناء يوم عيد الأضحى الذي يحرم فيه الصوم ـ مؤكّد جدًا؛ حتّى إنّ الصوم في يوم عرفة قد تمّ التأكيد عليه كثيرًا جدًا»[4].

«إنّ التأكيد الوارد في الروايات على الصوم في هذه العشر يفوق حتّى التأكيد على الصوم في شهر رجب.»[5]

---

[1] موقع مكتب الوحي، **محاضرة، سلوك الأسرة ـ طهران**، الدرس ٢٧.

[2] سورة الإخلاص (١١٢) الآية ١

[3] سورة الأعراف (٧) الآية ١٤٢

[4] موقع مكتب الوحي، **محاضرة، عنوان بصري**، الدرس ٢٠٢.

[5] راجع: **من لا يحضره الفقيه، ج ٢**، ص ٨٧ و ٨٨؛ **ثواب الأعمال**، ص ٧٣ و ٧٤.

الأذكار التوحيديّة الموسوية وأهميّة تلاوتها مع التوجّه إلى المعنى

«من جملة الأمور هي الأذكار التوحيدية لهذه العشر، وهي عشر فقرات مرويّة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهي أذكار عجيبة جدًا جدًا، وتُعرف بالأذكار التوحيدية الموسوية. وقد ألقى اللَه حقيقة هذه الأذكار وواقعها في نفس موسى عليه السلام خلال الأربعين. وورد في الروايات أيضًا أن يقرأها الإنسان كلّ يوم، بل ورد في بعض الروايات أنّه إذا استطاع أن يقرأها عشر مرّات فهو أفضل بكثير.[1] طبعًا، كما بيّنا، ينبغي أن يقرأها مع فهم المعنى والتوجّه إليه»[2]

شرح وتفسير فقرات الأذكار التوحيدية الموسوية

[يقول عليه السلام في هذه الأذكار]: **«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَدَدَ اللَّيَالِي وَالدُّهُورِ»**؛ «أي بمقدار وعدد الليالي والدهور والأزمان، لا إله ولا معبود ولا مؤثّر سواه». يعني أنّ حقيقة **«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»** سارية في عالم المادّة وعالم الخلق كلّه. **«عَدَدَ اللَّيَالِي»** تعني بمقدار الليالي يوجد **«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»**. أي إنّ تلك الحقيقة والواقع هو نفس الظهور الذي ترونه في هيئة الليل، وهو نفس الظهور الذي ترونه في هيئة الدهر وفي هيئة الفلك الدوّار. ظهورها هو هذا بعينه.

عجيب جدًا! هؤلاء الذين يُشكلون على هذه المباني الفلسفية ومباني الوجود ووحدة الوجود وصرافة الوجود وحقيقة الوجود البسيطة، ماذا يقولون بشأن هذا الذكر التوحيدي؟! وكيف يفسّرونه؟! هل يكتفون بالقول: فلنقرأه يا سيّدنا ونمضي فحسب؟!

«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَدَدَ أَمْوَاجِ الْبُحُورِ»؛ أي بعدد أمواج البحار، تسري حقيقة **«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»** هذه. عجيب جدًّا! ماذا تعني **«عَدَدَ أَمْوَاجِ الْبُحُورِ»**؟ تعني لا أنَّ البحر نفسه هو ظهور لحقيقة **«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»** وليس له استقلال بذاته، وأنّ تلك الحقيقة التوحيدية والوجود الصرف سارٍ في

---

[1] موقع مكتب الوحي، **محاضرة، عنوان بصري**، الدرس ١٦٢.

[2] **ثواب الأعمال**، ص ٧٢

هذا البحر وفي هذه البحار فحسب، بل حتّى حركته هي أيضًا هي ظهور وتجلّي لحقيقة ومفهوم «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ».

«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَرَحْمَتُهُ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» فكلّ شيء موجود في هذه الجملة! فإلى أين تذهبون؟! إلى من تتوجّهون؟! ماذا تجمعون؟! بماذا تتعلّقون؟! خلف من تسعون؟! جمع الأموال، جمع النفوس، جمع الأصدقاء، جمع المحيطين! لماذا غفلتم عن حقيقة «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»؟! اتبعوا تلك الحقيقة وانظروا إلى رحمة الله ماذا تصنع بكم! فهل تركتم تلك الرحمة جانبًا وتشبّثتم بالكثرات دائمًا؟! «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَرَحْمَتُهُ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ!» تعني أنّ الرحمة التي تظهر في نفوسكم هي بتجلّي «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» هذه، فهي لا تُبقي شيئًا آخر؛ لا تُبقي تعلّقًا، ولا تُبقي التفاتًا إلى كثرة، ولا تُبقي مجالًا لهذا الهراء! لا تُبقي مجالًا للحديث عن: «لنفعل هذا هنا! ولنفعل ذاك هناك! لنفعل كذا هنا! لماذا حدث هذا هكذا؟! يا ويلتاه، لنلطم رؤوسنا لأنّ هذا ارتفع! يا ويلتاه، ذاك انخفض! يا ويلتاه، خسرنا! يا ويلتاه، ربحنا!» إنّ تلك الرحمة التي تتجلّى على النفس وفي القلب بـ«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»، لا تُبقي شيئًا لهذه الحسابات من جمع وطرح.

«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَدَدَ الشَّوْكِ وَالشَّجَرِ»؛ فبمقدار الأشواك والأشجار «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ». «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَدَدَ الشَّعْرِ وَالْوَبَرِ»؛ أي بمقدار كلّ شعرة ووبرة من الحيوانات، يوجد تجلٍّ لـ«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ». عجيب! عجيب! «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَدَدَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ»؛ أي بمقدار أحجار العالم ومَدَرِه ـ لا الأرض فقط! ـ توجد حقيقة «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ».

كيف يعرّف الله نفسه أكثر من ذلك؟! كيف يقول أنا كلّ شيء؟! كيف يقول أنا في كلّ مكان؟! كيف يبيّن معنى صرافته في كلّ مكان؟! بأيّ بيان آخر؟! بمقدار الأحجار «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»! بمقدار المدر في العالم كلّه، «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»! يعني كلّ حقيقة ترونها، لها جهة ارتباط به، وجهة فناء في ذاتها، وبدونه هي فانية، ومعه هي باقية؛ بالارتباط به تجد البقاء، وبدون الارتباط به تجد الفناء. أليس هذا هو نفسه سريان حقيقة التوحيد في جميع الأعيان الخارجيّة؟! أهو غير هذا المعنى؟ إن لم يكن هذا، فماذا عساه أن يكون؟!

«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَدَدَ لَمْحِ الْعُيُونِ»؛ أي بمقدار طرفات الأجفان، توجد حقيقة «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» الآن، لو طرفنا بأجفاننا، فإنّ هذه الطرفة نفسها التي نطرفها هي ظهور لـ«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ».

حكايات من مشاهدات أهل المعرفة حول ذكر «يا هو» و «لا إله إلّا الله» من الموجودات

كان أحد الرفقاء والأصدقاء يقول: «عندما كنت أذكر اللَه بين الطلوعين، دخلتُ فناء الدار فرأيتُ صوت «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» يرتفع من كلّ ورقة من أوراق الأشجار في الفناء!»

حسنًا، تفضّلوا! هل هذا أيضًا خداع بصر؟! هل هذا أيضًا خيال؟! إنّه كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَدَدَ لَمْحِ الْعُيُونِ»؛ أي بعدد طرفات الأجفان، توجد حقيقة وواقع «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ».

كان السيّد عبد اللَه فاطمي الشيرازي رحمه اللَه من أصدقاء المرحوم العلامة الطهراني. كانا في وقت من الأوقات أكثر أُنسًا ببعضهما، ولكن في السنوات الأخيرة من حياة ذلك المرحوم قلّ الارتباط بعض الشيء. وقد نقل للمرحوم العلامة الطهراني قائلاً: «كنتُ في النجف في إحدى ليالي النصف من شعبان، فرآني المرحوم السيد جمال الكلبايكاني[1] رحمه اللَه وقال: "يا فلان، لا أستطيع الذهاب لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام في ليلة النصف. الناس يأتون من كلّ مكان. تعال خذ هذه النقود واذهب نيابة عنّي وقم بالزيارة واطلب حاجتي وأحضرها لي." ولم يقل ما هي حاجته. أتينا إلى كربلاء وذهبنا إلى المخيّم. وهناك ذهبنا أوّلًا إلى الحمّام وأردنا أن نغتسل غسل الزيارة. عندما دخلنا الحمّام، وحين كان ماء الخزّان[2] يتحرّك، رأيتُ أنّ صوت «يا هو» يرتفع من كلّ هذا الماء وحركة الماء! فكلّ موجة كانت تأتي، كانت تقول«يا هو!» هذه من هذا الطرف تقول «يا هو» وتلك...؛ وكان ماء الخزّان بكلّ سعته يقول «يا هو».[3]

---

[1] ذلك الرجل العظيم الذي ذكره **المرحوم العلامة الطهراني** في كتبه. * يُراجع: **مطلع أنوار** (فارسي)، ج ٢، ص ٣٩٧ ـ ٤٢٢؛ **معرفة المعاد**، ج ١، ص ١١١ وج ٩، ص ٦٥؛ **توحيد علمي وعيني** (فارسي)، ص ٢٠ ـ ٢٣ و ٢٨

[2] الخزّان: مكان يشبه الحوض، يقع فوق موقد الحمّامات العامّة، وكان ماؤها يُسخّن بنار الموقد ليكون جاهزًا لاغتسال الزوّار. (المحقق)

[3] حقيقة «يا هو» أقوى بعض الشيء من «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ».

رأينا الماء كلّه يقول «يا هو!» وخلاصة الأمر، لم نفهم ما الذي جرى، هل اغتسلنا أم لا! خرجنا وذهبنا لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام، وما إن أردنا أن نعرض الأمر على حضرته ونقول: "لقد جئنا وفلان له طلب وحاجة." حتّى قال لنا: "اذهب وقل له أعطيناه!" فعدنا من كربلاء إلى النجف، وعندما وصلنا إليه، وما إن أردتُ أن أقول إنّ الحاجة قد قُضيت، حتّى قال: "وصلت البارحة! في الليلة الماضية وصلتنا هذه المسألة!

طوبى لهم، فقد فازوا بالمسألة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام هنا: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَدَدَ أَمْوَاجِ الْبُحُورِ»؛ أي بعدد أمواج البحر وحركاته، تظهر حقيقة «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» حسنًا، تفضّلوا! هذا الأمر يحدث للكثيرين ويتجسّد لهم ويتّضح هذا المعنى. فكثير من الأفراد، من الأصدقاء والرفقاء والمقرّبين، كانت هذه المعاني وما زالت واضحة وظاهرة لهم.

«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ فِي اللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ»؛ أي عندما يُقبل الليل وعندما ينبلج الصبح، في كلّ هذه يظهر «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ». «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ عَدَدَ الرِّيَاحِ فِي الْبَرَارِي وَالصُّخُورِ»؛ أي بعدد الرياح التي تهبّ في الصحاري والصخور، يظهر «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ».

كان بعض الأصدقاء يقولون لي: عندما كنّا نسمع صوت الريح، كان يصل إلى أسماعنا معه صوت «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» وطبعًا، بأذن القلب! فكلّ هذه الأمور موجودة. وذلك الذي يروي ويقول: «عندما كان أمير المؤمنين عليه السلام يأتيني ليلًا ويزورني، كانت من علامات مجيئه أنّني عندما يأتي، كنت أرى حصى هذا الباب والجدران مشغولة معه بذكر التسبيح»[1]

فهذه ليست مزاحًا! طبعًا، لا أنّه يُخلَق في تلك اللحظة؛ بل هذا الأمر موجود، ولكن يجب أن نرفع مستوى جهاز الاستقبال لدينا حتّى نسمع. الآن في هذه الغرفة توجد كلّ الأمواج، ولكن هل نسمعها؟ لا، لأنّنا لا نملك جهاز استقبال وتسجيل. إذا كان لدينا جهاز استقبال، فإنّنا نستقبل بمقدار قدرة وقوّة الجهاز؛ إذا كان جهاز استقبالنا ضعيفًا، يلتقط بعض الأمواج؛

[1] راجع: **روضة الشّهداء**، ص ٢١٨ ـ ٢٢٠

وإذا قوّينا جهاز الاستقبال وأصبح تردّده قويًا، يلتقط أمواجًا أكثر؛ وكلّما كان جهاز الاستقبال أعلى وأقوى، كانت قدرته على جذب الأمواج وإظهارها أكبر.

بقول الحاج السبزواري رحمه اللَه:

موسيى نيست كه دعوى أنا الحق شنود * ورنه اين زمزمه اندر شجرى نيست كه نيست**[1]

يقول: لا يوجد موسى ليسمع دعوى "أنا الحق" *** وإلّا فما من شجرة إلّا وفيها هذه الهمهمة.

لا يُوجد موسى ليسمع، وإلّا فما من شجرة إلّا ولها هذه الهمهمة! الكلّ يمتلكها؛ كُن أنت موسى حتّى تسمع «أنا الحق»! فإذن «أنا الحق» موجودة دائمًا؛ «أنا الحق» كانت في تلك الشجرة، و «أنا الحق» موجودة أيضًا في هذا الميكروفون الذي أمامي الآن، وهذا أيضًا هنا «أنا الحق». من يسمع هذا؟ يجب أن يأتي موسى ليسمع؛ لا أنّه يُخلَق الآن حديثًا.

هو يقول: «أنا الحق» موجودة في هذا العمود، «أنا الحق» موجودة في هذه السجّادة، «أنا الحق» موجودة في هذا السقف، «أنا الحق» موجودة في هذه المروحة التي تدور الآن؛ في حركتها وفي كلّ هذه الأشياء يوجد ذلك الظهور للتوحيد وظهور الحقيّة وسريان التوحيد؛ قوِّ جهاز استقبالك حتّى تدرك ذلك! اصعد إلى هذا المستوى، يُظهرون لك هذا المستوى نفسه ولا يُظهرون ما هو أعلى منه. اصعد إلى أعلى، يُظهرون لك أيضًا ذلك المستوى نفسه. كلّما صعدت، ترى وفقًا لذلك الأفق الذي وصلت إليه؛ لا أنّه غير موجود! هو موجود؛ ولكن يجب أن نصل إلى تلك المرتبة لنرى ما هي المسائل والحقائق التي خلف الستار! الحقائق موجودة، لا أنّها تُخلَق لاحقًا؛ هي موجودة الآن، ولكنّنا لا نملك عينًا للبصر.

[1] **ديوان الحكيم السبزواري** (أسرار)، ص ٧١

«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مِنَ الْيَوْمِ إِلَىٰ يَوْمِ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ». [1] في عالم الوجود كلّه يوجد سريان لحقيقة «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» [2]

فكلّ زهرة تنبت، وكلّ ذرّة، وكلّ حجر، وكلّ حبّة رمل صغيرة ينشرها الريح في الفضاء هي «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»، وهي مظهر لذاته واسمه وصفته، ولكن في حدود استعدادها وظرفيّتها.

أهميّة ذكر «لا إله إلّا الله» في البداية، وطوال الحياة، وعند الموت

إذن، العالم كلّه «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»: عالم المُلك والملكوت. أوّل ذكر نقوله هو «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ». عند اعتناق الإسلام يكون «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ». وعند الموت أيضًا «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ». ولكن وا أسفاه أنّ الإنسان لا يفهم معنى هذا الذكر، ولا يبحث عن تفسيره بتأمّل ودقّة، ولا يتلفّظ به، وعندما يفارق الدنيا وتُحمل جنازته، يُقرأ على جنازته: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»؛ يعني أيّها الميّت المسكين! الآن فهمتَ أنّه «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»؟! هل فهمتَ أنّه لا معبود سوى الله؟! ولا مؤثّر سواه؟! في حياتك، كلّما قيل لك: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»، لم تكن تفهمها! ولم تخرج من الاستكبار وطلب الأنا! ولم تخطُ من الاستقلاليّة والربوبيّة المزعومة خطوة واحدة نحو طريق العبوديّة! والآن أصبح مؤكّدًا وواضحًا وجليًّا لك أنّه: «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ». يُستحبّ للإنسان إذا دخل المقبرة أن يسلّم [3]؛ على من؟ على أهل «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ». على أولئك الذين أصبحوا من زمرة «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» وأهل التوحيد، وبظهور جلال وعظمة الحضرة الأحديّة عند قبض الروح، سلّموا كلّ شيء لديهم للحقّ، وخرجوا من الفرعونيّة وعبادة الذات، وأقرّوا واعترفوا طَوعًا أو كُرهاً بوحدانيّة ذات الحقّ تعالى وتقدّس، وهم في هذه المقبرة راقدون جميعًا بلا تفاوت؛ المرأة والرجل، الشيخ والشاب، الطفل والكبير، العالِم والعاميّ، الغنيّ والفقير، الرئيس والمرؤوس، ذو الشأن والمغمور؛ كلّهم قد صَفّوا، وحاليًا لا حرب ولا نزاع، لا تباهي ولا استكبار؛ كلّهم راقدون في صفّ واحد! سكون مطبق يدلّ على «لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ» يملأ فضاء المقبرة.

---

[1] **المزار الكبير، ابن المشهدي**، ص ٤٤١

[2] موقع مكتب الوحي، **محاضرة، عنوان بصري**، الدرس ٢٠٢

[3] يُراجع: **بحار الأنوار، ج ٩٩**، ص ٢٩٥ ـ ٣٠١؛ **مستدرك الوسائل، ج ٢**، ص ٣٦٥ ـ ٣٧٠

رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه إذا دخلتَ المقبرة فقل: «بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، السَّلَامُ عَلَىٰ أَهْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَهُ، مِنْ أَهْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَهُ، يَا أَهْلَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَهُ، بِحَقِّ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَهُ، كَيْفَ وَجَدْتُمْ قَوْلَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَهُ، مِنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَهُ؟ يَا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَهُ، بِحَقِّ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَهُ، اغْفِرْ لِمَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَهُ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَهِ».[1]

حكاية الشيخ المستنير ومشاهدته نور التوحيد في جميع الموجودات

يقول شيخ ذو ضمير مُضاء لا يزال على قيد الحياة فعلًا: سنحت لي حال طيّبة حسنة في شهر رمضان، فشاهدتُ في إحدى الليالي نور التوحيد في جميع الموجودات، فقد كان كلّ شيء لا إله إلّا الله؛ ثمّ رأيتُ في تلك الحال قطّة تقفز من جدار إلى آخر، فكانت القطّة لا إله إلّا الله، و كانت قفزتها «لا إله إلّا الله».[2]

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد

[1] **بحار الأنوار**، ج ٩٩، ص ٣٠١؛ **جامع الأخبار**، **الشعيري**، ص ٥٠، مع بعض الاختلاف.

[2] **معاد شناسي**، ج ٦، ص ٣٣.